عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف
لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث
يخف عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس
للمومن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق
وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة
بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير
في المال ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش من الاخر وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسيس
والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما
يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق
التكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على
الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب** اعلم ان العجب مذموم في كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد
على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه
مصيب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال لابي ثعلبة حين ذكر اخر هذه الامة اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل
ذي راي برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع
بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه
قد ظفر بمراده وسعد فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في
اعتقاد المعجب حاصلة ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن هاهنا جمع بينهما قال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم الاية وقال ابن جريج اذا عملت خيرا لا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها

أي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه
حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه اذ فداه بنفسه حتى جرح فتفرس عمر رضي الله عنه فيه ذلك فقال ما
زال يعرف في طلحة باو والكبر منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه لم ينقل عنه
انه اظهره ولا احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس رضي الله عنه اين انت من طلحة قال
ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم
وقال مطرف رحمه الله لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وكان بشر بن منصور رضي الله عنه من
الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى رؤيته لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما ورجل ينظر
اليه ففطن له بشر فلما فرغ من صلاته قال له لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس عبد الله مع الملائكة
مدة طويلة ثم صار الى ما صار وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا
ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمن نتيجة استعظام الصدقة
واستعظام العمل العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم **بيان آفة العجب**
اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرنا فيتولد من
العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب
يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغني
عن تفقدها فينساها وما يذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه
وتلافيه بل يظن انه يغفر له فاما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن
على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها
ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة
قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه
وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا
باعماله التي هي نعمة من نعم الله عليه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويزكيها وان اعجب
برايه وعمله وعقله منعه ذلك من الاستفادة والمشاورة والسؤال فيستبد بنفسه ورايه

Copyright © King Saud University